بسم الله الرحمن الرحيم

الإلحاد: وعلاقته باليهود و النصارى

د. محمد بن سعد الشويعر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد :-

فمنذ خلق الله الإنسان والصراع قائم بينه وبين الشيطان، ثم ازداد الأمر مع ذريته. الشيطان وأعوانه من الجن والإنس، يريدون إغواء بني آدم وصرفهم عن المنهج القويم. ونصب الحبائل لإبعادهم عن أمر الله وشرعه، وعن طاعة رسله واتباع كتبه التي أنزل، والمؤمنون من بني آدم يأتمرون بأمر الله ويتّبعون رسله ويعملون بما أنزل عليهم، فهم عباد الله المخلصون له، الذين حماهم الله من الشيطان وحبائله وأشد الناس عداوة وحسداً للمسلمين هم اليهود والذين أشركوا وذلك لعداوتهم لله وتحدّيهم لرسالاته ووقوفهم ضدها، وكراهيتهم لأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن اليهود وعدائهم للمسلمين، وأنهم متلازمون في هذا يعنى اليهود مع الملاحدة وعبدة الأوثان ﴿ لتجدنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عدَاوةً لِّلَّذينَ ءَامَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ

أَشْرَكُوا، ولتجدنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّودَّةً لِّلَّذينَ ءَامَنُوا الَّذينَ قالوا إِنَّا نَصارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسينَ وَرُهْبَاناً وأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ وإذا سَمِعُوا مآ أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ ترىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يقولُونَ رَبَّنآ ءَامنّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[١].

ويقول تبارك وتعالى مخبراً عما حل بهم بعد أن تجاوزوا الحد في المعصية والمعاندة : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهُمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ الله ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بئايٰت الله وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[٢].

وكما حرص اليهود في بث السموم والعداء للديانة النصرانية، وفي وقوفهم ضد عيسى والحواريين فإن مواقفهم مع محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة معروفة في كتب السير، وسجلها التأريخ ، بل أبان القرآن نماذج من حوارهم وعنادهم في أكثر من موضع، كما رصدت من قبل كثير من كتب النصارى وتأريخهم مواقف للعداء المستحكم بين اليهودية والنصرانية.

وبدءوا أسلوباً جديداً في حربهم للإسلام على يد عبد الله بن سبأ اليهودي الذي دخل الإسلام ظاهراً، أما باطنه فكان الإضلال والمباعدة بين المسلمين ودينهم، فأنشأ الفرقة البأيَّة، وكان مما فتن الناس فيه قوله: بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يقتل وإنما هو حي في السحاب، ولو أتيتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا موته، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[٣]

(١) سورة المائدة، الآيتان [٨٢ - ٨٣].
(٢) سورة البقرة، من الآية [٦١].
(٣) أنظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ٥ ص ٣٦.

حرّك اليهود الجدل في تأريخ الإسلام منذ حلّ محمد صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً، بل إن هناك أخباراً تعطينا الدلالة على اتصال اليهود بالمدينة ـ واسمها ذلك الوقت يثرب ـ بكفار مكة وإخبارهم ببعض الأمور التي تطرح أسئلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم للتعجيز والحجاج، لا للفائدة والوصول للحقيقة، كالأسئلة التي وردت إجاباتها في سورة الكهف وهي مكية. لأن عرب الجزيرة قبل البعثة لم يكونوا أهل علم، ولا معرفة بأحوال الأمم السابقة.

ولذا يؤدب الله جلّت قدرته أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بعد الهجرة للمدينة، التي يسكنها قوم من أهل الكتاب في طريقة الحوار معهم، والنقاش فيما يطرح من مسائل، وهو اللين والرفق، لينجذب طالب الحقيقة، وتقوم الحجة على المعاند والمكابر، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَّنا بِالَّذِيٓ أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وإلهنا وإِلَٰهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

ولما كان اليهود يضمرون العداء لمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، فإنهم سلكوا طرقاً ملتوية لإضلال الناس، فحركوا في الأمم المغلوبة كالفرس والروم جذور دياناتهم السابقة ليأتوا بطرق ظاهرها الإسلام، وباطنها محاربته للتشكيك فيه.

فظهرت الزندقة في العهد العباسي، كما تحرك النصارى وبدءوا يطرحون شبههم ويحاولون الظهور على المسلمين، وكان أول رد جدليّ حسب ماوصلنا خبره رسالة الجاحظ في « الرد على النصارى »، وماذكره

---

(١) سورة العنكبوت آية [٤٦].

المسعودي من جدل بين الرشيد وملوك الروم[١].

وفي الحروب الصليبية حوّل النصارى الناحية الجدليّة إلى قوات عسكرية ناوأت المسلمين، حتى هيأ الله لهم قائداً رفع راية الإسلام عالية في بلاد الشام ومصر ضد عبّاد الصليب إنه صلاح الدين الأيوبي رحمه الله [٥٣٢ ـ ٥٨٩] الذي حرص أن يبني قاعدة وعقائد المسلمين، قبل أن يحارب بهم أعداءهم، فحرص رحمه الله على القضاء على دولة الفاطميين في مصر، لأنها نشرت البدع وأماتت في المسلمين حب الجهاد في سبيل الله، وقد حوّل مصر من التشيع الذي اهتمت به الدولة الفاطمية إلى السنَّة عندما استقدم علماء من الشام ووزّعهم في أنحاء مصر لإصلاح عقائد أهل مصر قبل أن يدخل بهم المعركة ضد النصارى.

وقد نشط الجدل بين النصارى والمسلمين في العراق والشام ومصر، ولكنه بلغ الذروة في الأندلس لكثرة النصارى واليهود في تلك البلاد خاصة وأن اليهود يحركون الشبه لدى النصارى ليجعلوهم في الصورة الجدلية وإلقاء العقبات في فهم الإسلام.

ومن الرسائل الجدلية القصيرة التي كتبها علماء الإسلام في الأندلس.

- الرد على اليهود للرقيلي.
- الرد على النصارى لأبي القاسم العتبي.
- وكتاب ابن أبي عبيد في الرد على النصارى.

---

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٦٥ ـ ٣٧٤.

ـ كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم وهو من أقواها[1].

فالصراع بين الحق والباطل قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد أخبر الصادق المصدوق في حديث رواه عوف بن مالك الأشمعي الأنصارى رضي الله عنه، بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: " اعدد يا عوف ستاً بين يدي الساعة : أولهن : موتي، والثانية : فتح بيت المقدس، والثالثة : موتان يكون في أمتي يأخذهم مثل مقاص الغنم، والرابعة : فتنة تكون في أمتي وعظّمها، والخامسة : يفيض المال فيكم حتى أن الرجل ليعطى المائة دينار فيتسخّطها والسادسة : هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيسيرون إليكم على ثمانين غاية، قلت ما الغاية قال : الراية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً "[2].

ولعل من تلك الرايات موجة الإلحاد التي حرص أعداء الإسلام على نشرها بين المسلمين لتشكيكهم في قدرة الإسلام على مسايرة الحياة الحاضرة من مالية وتربوية وعلمية وأمنية وغيرها بعد أن خسروا الحوار الجدلي بين الإسلام والنصرانية التي يدعون إليها.

إذْ بدأ رجال خدموا الكنيسة وفي مناصب قيادية، يندسّون في بعض المجتمعات الإسلامية لإظهار ـ أولاً : تمردهم على الكنيسة التي وجدوا تعليماتها وطقوسها لا تتفق مع منطق العقل ولا مع متطلبات العصر، وما فيه من مستحدثات.

---

(١) راجع الفصل جـ ١ ص ١٥.

(٢) راجع هذا الحديث بكماله في الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٢٤ ص ٢٤ ـ ٢٥.

وثانياً : وهـذا هو هـدفهم الأساسي لصرف المسلمـين عن دينهم، بالمعادلات التي لمسوها في عقائد أصحاب الديانات الأخـرى، فينصرف إليهم من لا خلفيات عقائدية أو علمية لديه في أمور الدين الإسلامي.

وسـوف أضرب في هذا المـوقف مثالاً واحـداً، من الأمثلة الكثـيرة التي تنتشر في العـالم الإسلامي بـأسره، ولدى الأقليـات الإسـلاميـة في أوروبا وأميركا وأستراليا مما يوجب اتخاذ عمـل جماعي ومـوحد، لتبصـير أبناء الإسلام بمـا يراد بهم، وتـوضيح تلك الشبهـات المطروحـة أمامهم لصرفهم عن دينهم وشـاهده من كتـاب الله قول الله تعـالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْـلِ الكِتَابِ لَـوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْـدِ إيمانِكُمْ كُفَّـاراً حَسَـداً مِّن عِنْـدِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾[1].

ومما لاشك فيه أن العالم الغربي والشرقي يمر بمرحلة إلحاديـة عارمـة نشأت عن الشيوعية والعلمانية، حيث التمسـوا في متاهـاتهم الفكريـة، مايحل قضاياهم المتشابكة، فـأصبحوا كـالمستجير من الـرمضاء بـالنار، حيث التجأوا للإلحاد للتمرد على الكنيسة وظلمها.

ومصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْـدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[2].

أجد أن الحالة التي سأذكر هنا، وهي نموذج لحالات كثيرة تخرج هنا وهنـاك عن أولئك القـوم، تعطي فكـرة عن الجهود التي تبـذل لإخراج المسلمـين عن جادة الصـواب، التي هي منهج الإسـلام، إلى متـاهـات

(١) سورة البقرة من الآية [١٠٩].
(٢) سورة البقرة آية [١٢٠].

فوضوية، لكي يقولوا لبني جلدتهم بلسان الحال والمقال : إن المسلمين أيضاً قد شعروا بالضجر الذي مرّ بنا، فتركوا دينهم، فتغتنم ذلك الكنيسة لتكثيف التبشير، وجذب أولئك البشر روحانياً وعقائدياً إليها، لأن النفس البشرية مهما ابتعدت بالإلحاد والإنصراف، فهي في حاجة إلى الانتماء العقائدي لأي شيء يطرح أمامها.

وهي والله مكيدة يمكرون من ورائها بالمسلمين ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله والله خَيْرُ الماكِرِينَ ﴾[1] ليخرجوهم من الإسلام بالبعد عن مصدري التشريع فيه، ثم جذبهم لتعاليم الكنيسة.

فلقد وصلتني من أحد الأخوة الغيورين على دينهم من دبي ـ بدولة الإمارات العربية المتحدة، رسالة قد أرفق معها كتاباً باللغة المليبارية بالهند واسمه : القرآن دراسة انتقادية من تأليف : جوزف ايدا ماروك. وقد صدر هذا الكتاب في شهر يوليو عام ١٩٨٢ م.

يقع الكتاب في ١٧٤ صفحة باللغة المليباريه، أما ترجمته إلى اللغة العربية فتقع في ٧٩ صفحة.

وقد نشرت هذا الكتاب جمعية النشر الإلحادية الهندية، ودار الكتب الزندقية هناك برقم(١) واحد. ممَّا نستنتج معه أن هذه الجميعة جديدة التكوين، وجديدة النشاط أيضاً، وأنها مركزة علمها في منطقة إسلامية في الهند، وبلغة أكثر من يتكلمها المسلمون.

وقبل أن نعطي فكرة عن الكتاب ومداخل المؤلف في التلبيس، فإن القارىء المسلم يجدر به أن يعرف شيئاً عن المؤلف وأعماله حتى يتقي

---

(١) سورة الأنفال آية [٣٠].

شره، ويسعى بما أعطاه الله من جهد وعلم للتعريف به في أوساط المسلمين للرد على شبهاته، وتوضيحاً للمسلمين في كل مكان لمحاربة هذا المعاند لله ولرسالاته، فالمؤلف هو جوزف ـ يوسف ـ ايدامارك، ولد في أسرة من الأسر المسيحية السورية بمقاطعة « أيدوكي » « كيرالا » في عام ١٩٣٤ م، وكان أول أمره معروفاً بتدينه وتمسكه بالنصرانية، وكان خطيباً من خطباء التبشير، ومعلماً في إحدى مدارس الأحد، وقد قام بخدمات سياسية، وكان عضواً للجنة المركزية الشيوعية وأميناً لفرع كيرالا.

وألّف في عام ١٩٥٣ م كتاب « إنما عيسى بشر » فغضبت عليه الكنيسة وأخرج من مجلس : « مهارون شولي » وهو مجلس من مجالس المسيحية في الهند.

تزوج بإمرأة هندوكية في كيرالا عام ١٩٥٤ م. فبدأ من ذلك التأريخ نشاطه الإلحادي وأصدر : مجلة إلحادية شهرية باسم ايسكرا أي « شرارة النار » وقد انقطع إصدارها وكان حظه كبيراً في إصدار المنشورات الإلحادية مثل « تيرالى » و «يوكتى» وغيرهما، كما كان مديراً للتحرير لكل من المجلات التالية : « مجلة سينما » و« حولية متورامـا » و« منو راجيم ». وهو الآن مراسل دلهي لمجلة « كير الا شبدم » أي « صوت كيرالا » الأسبوعية. وكانت له اليد الطولى في تأسيس « جمعية كيرالا الإلحادية » منذ عام ١٩٥٦ م، وكان من المؤسسين للمنظمة التي انتشرت في الهند للتحضيض (الحث) على مناكحة أهل الأديان المختلفة فيما بينهم، وهم يريدون في ذلك أن تتزوج المسلمات من غير المسلمين ليسهل تضليل المسلمين.

ولعل نشاط جوزف ايدا مارك هذا في الهند وفي المناطق الإسلامية بالذات في كيرالا ـ أي خير الله ـ. وفي الدخول على المسلمين من ناحية التزاوج والانصهار العرقي، وفي طباعة كتب ونشرات الإلحاد في المناطق الإسلامية في الهند وباللغات التي يتكلمها المسلمون بالذات، مع جهوده المكثفة وتشكيكهم في دينهم كل هذه الاعتبارات وغيرها لعلها هي التي أهلته لأخذ الجائزة الإلحادية العالمية عام ١٩٧٨ م. حيث يعتبر أول من نالها من آسيا.

ومع هذه النبذة عن حياته المليئة بما يغضب الله تعالى نذكر كلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله : عجبت لأهل الباطل وحرصهم على باطلهم وهذا ليس بغريب فعدو الله إبليس يعرف عن نفسه أنه على باطل ومع هذا يصر على السير في طريقه وإغواء الناس ولن أذكر هنا مضامين هذا الكتاب، لأنه من أوله إلى آخره مليء بشبهات وأحقاد على الإسلام والرسول الأمين صلى الله عليه وسلم بآراء غير مركزه ولا مرتبة، وفي جملتها هي من الشبهات التي يطرحها اليهود، ويثيرها النصارى في هجومهم على الإسلام والقرآن الكريم، الذي يصفونه دائماً بأنه من وضع محمد. ثم بما يعرضون له من آراء حول الحدود الشرعية التي يصفونها بالقسوة، وعن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم العائلية وزواجه وتلك الأمور في مخرجها الأساسي شبهات من اليهود رددها النصارى، وأثارها غيرهم من أصحاب الملل والنحل.

بل إن المبشرين ودعاة الكنيسة في كل مكان وزمان، يثيرون هذه الشبه التي تعرض لها هذا المؤلف . . . من باب التشكيك في صحة القرآن الكريم، وإيهام الآخرين أنه من وضع البشر وليس من عند

الله . وهم يأخذون هذا من طريقة الجدل بين اليهود والنصارى، التي تشكك كل طائفة في الأخرى، وتصف كتابها بالتعديل والتغيير، وأنه من وضع أحبارهم ورهبانهم وزعماء الدين فيهم .

وإذا كانت المجتمعات غير الإسلامية قد ظهرت فيها مظالم، وتسلط القوي على الضعيف ونتج عن ذلك أمور عديدة : من تفكك الأسرة، وفقدان الرابطة الاجتماعية، وخلوّ القلوب من الوازع، وانتشار الجريمة، واضطراب النفوس، وكثرة القلق، والحقد على الآخرين، وغلبة الأنانية . . . وغير هذا من النوازع التي تسعى إلى تخريب المجتمعات، وضياع الرابطة الأسرية .

فإن الإسلام فيه الحل لكل ما يعترض من مشكلة، ومامرَّ أو يمر بالعالم من اضطراب لتخليص أبناء الإسلام أولاً من الغزو الإلحادي الموجه إليهم، ولإشعار الأمم الأخرى بقدرة الإسلام على تخليصها من المشكلات التي تعاني منها، لما في تشريعه وحدوده من قضاء على تلك المشكلات بالقضاء على مسبباتها .

فبالنسبة لأبناء المسلمين الذين غزوا في قعر دورهم، وبلغاتهم القومية، فإن الحل يكمن في تعاون المسلمين على الأمور التالية :-

١ - تعليم أبناء المسلمين منذ صغرهم أمور دينهم حتى يتسلحوا ضدّ أعدائهم وأعداء دين الله .
٢ - وإذا كانت دراساتهم النظامية في مدارس علمانية لا تهتم بالدين الإسلامي فإن المسئولية تقع على الآباء والأمهات بتعليم الأولاد في المنزل ما يصلح شأنهم وعقائدهم .
٣ - تنظيم مجموعات لأبناء المسلمين لتعليمهم في المسجد أو في المراكز

الإسلامية، وأن يتطوع القادر بتخصيص جزء من وقته أداء لحق الله الذي منحه القدرة والكفاءة ولا يبخل من لديه قدرة ومتسع من الوقت بالتعاون معه امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا على البِرِّ والتَّقوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا على الإثْم والعُدْوَانِ واتَّقُوا الله ﴾[1].

٤ ـ تنمية الحجاب لدى المرأة المسلمة، وتشجيع الانفصال في التعليم عن الرجل لإيجاد الشخصية الإسلامية من البداية حسب أمر الله ﴿ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[2].

٥ ـ تنظيم الندوات والمحاضرات الإسلامية للرجال والنساء وتشجيع النقاش وطرح الأسئلة، والإجابة على الشبهات وتوضيح اختلاف نظرة الإسلام لكثير من الأمور عن النصرانية واليهودية، حتى تتسع مدارك أبناء المسلمين لأن الإسلام يخاطب العقل.

٦ ـ تقوية الرابطة في المجتمعات الإسلامية وخاصة عندما يكون المسلمون في بلاد بها معتقدات مختلفة.

٧ ـ الاهتمام فيما بينهم بالمناسبات الإسلامية كالأعياد ويوم الجمعة، وشهر الصوم وتشجيع التزاور والنقاش في الفوارق بين مناسبات المسلمين وغيرهم. ونبذ المناسبات الطارئة على المجتمع الإسلامي التي دخلته من أصحاب الأهواء والبدع.

أما بالنسبة للمسلمين عموماً، فإن هناك أموراً إذا أخذ بها، كانت خير سلاح للوقوف بحزم وقوة ضد ظاهرة الإلحاد التى برزت في هذا العصر بصورة أكثر مما كانت معروفة به من قبل في مثل :ـ

---

(١) سورة المائدة، من الآية [٢].

(٢) سورة الأحزاب، من الآية [٥٣].

١ ـ تمكين عقيدة التوحيد من القلوب. فالإلحاد لم ينشأ إلا من خراب القلوب حيث حلّها الشيطان واستوطنها.

يقول الله جلّت قدرته ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ، مَآ أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّنْ رِزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾[1].

فالفرد إذا امتلأ قلبه بمعرفة الله، وأخلص له سبحانه بالعبادة والوحدانية، لن يجد هؤلاء الملاحدة منفذاً يدخلون معه، ولا تجد أفكارهم إلى نفسه سبيلاً.

٢ ـ ترابط المسلمين واهتمامهم بإخوانهم، ليكونوا كالجسد الواحد كما جاء في الحديث الشريف، فيعرفوا ما يحاك ضد إخوانهم في أي مكان من مكائد، وما يطرح من شبهات فيعينوهم في الوقوف ضد ذلك حتى لايقعوا فيه.

٣ ـ العناية بالتعليم الإسلامي لتنمية العقيدة الصحيحة، ونبذ الخلافات التي دخلت المجتمعات الإسلامية وغذّاها أعداء الإسلام، من باب « فرّق تسد ».

٤ ـ بذل المساعدات المالية والعلمية لأبناء المسلمين حتى يزدادوا علماً ومعرفة لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. ومن ثم توجيه الثقافة والتعريف بالنافع من الضار.

٥ ـ التصدي لشبهات الملاحدة التي تثار، وتوضيحها بالدليل العقلي، والدليل المنقول، لأنها شبهات باطلة تتهاوى هشّة أمام التوضيح والمناقشة، وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنْ يتّبعون إلا الظَّنَّ وما تهوى

(١) سورة الذاريات، الآيات [٥٦ و ٥٧ و ٥٨].

الأنفس ولقد جآءهم من رَّبِّهم الهدىٰ ﴾[1].

٦ ـ العناية بالتوجيه الإعلامي من مسموع أو مقروء أو منظور، وربط الأمور بمنطلق العقيدة الإسلامية، فوسائل الإعلام في العصر الحاضر مدرسة لتوجيه أفراد المجتمع على اختلافهم، وتبصيرهم بما يجب عليهم وما لهم لأنها تدخل كل بيت وتتحدث بكل لغة.

٧ ـ الاهتمام بالتربية الخلقية، والتأدب بآداب الإسلام فالإحسان إلى الآخرين من آداب الإسلام ويستعبد الآخرين، والعدل بين الناس، والصبر على أذاهم وغير هذا من الأمور التي تجذب الكافر وأصحاب النحل الأخرى إلى حظيرة الإسلام. هذه بعض الأمور التي تعين في التغلب على ظاهرة الإلحاد، والكيد للإسلام وأهله. ويحضرني في هذا الموقف واقعتان حصلتا في العهد العباسي منهما نجد أسلوب علمائنا الأفاضل في معالجة مثل هذه الظاهرة بأسلوب مقنع.

ـ الأولى حصلت لأحد علماء بغداد عندما طلب إليه مناظرة أحد الملاحدة في ميدان عام بالرصافة، وقد تجمع الناس والعلماء، فتأخر هذا الشيخ عن الحضور والناس ينتظرون، وجاء بعد طول انتظار، فابتدر الجميع قائلاً، وهو يعني الملحد الذي سوف يناظر، لقد تأخرت لأنني منذ وقت طويل، وأنا جالس تحت تلك الشجرة انتظرها تقطع نفسها ثم تصنع لي قارباً من جذرها فأركبه إليكم زورقاً.

فضحك الملحد قائلاً إن الشجرة لابد لها من عامل معه فأس

---

(١) سورة النجم، من آية [٢٣].

يقطعها، ثم نجار ينشر خشبها، ثم مسامير ومطرقة، ليجمع من أعوادها قارباً، ثم عمال يحركون المجاديف لتجتاز بك النهر حتى تصل إلينا.

فقال الشيخ : إذاً كيف تقول : إن المصنوع في هذه الحياة ليس له صانع يوجده من العدم، فما دام لابدّ من عامل يعمل، ونجار يصنع من أجل إصلاح قارب، فلابد إذاً لهذا الكون من خالق يدبره وهو الله جلّ وعلا. فالأشياء لا توجد نفسها. فسكت الملحد وانخذل.

- أما الثانية فهي قصة أبي حنيفة رحمه الله مع جاره اليهودي الذي آذاه بفتح بيت الخلاء عليه ليؤذيه بالرائحه الكريهة، فصبر الإمام أبو حنيفة عليه خمسة عشر عاماً أداءً لحق الجوار، مع أنه قادر بكلمة واحدة لأمير المؤمنين أن ينتقم من هذا اليهودي شر انتقام وكان أن مرض أبو حنيفة فزاره اليهودي من جملة من زاره، وقد تعمد أن يضع يده على أنفه إظهاراً للاستياء مما يشم، وبعد أن جلس عند أبي حنيفة، قال له : منذ متى وهذه الرائحة الكريهة عندكم ؟ فقال : منذ جاورتنا، منذ خمسة عشر عاماً.

فقال اليهودي : وقد صبرت من ذلك التأريخ ؟ قال : نعم. لأن ديننا يأمرنا بحسن الجوار. فبهت اليهودي، ثم قال : دين هذه أخلاق علمائه فإنه خير دين أشهدك أنني أسلمت ونطق بالشهادتين ومن هذا كله ندرك علاقة النصرانية واليهودية بموجة الإلحاد السائدة في هذا العصر وحرصهما على مباعدة المسلمين عن دينهم.

نسأل الله السلامة والعافية لأمة الإسلام وأبناء المسلمين، وأن يرزقهم التفقُّه في دينهم، ومعرفة الحق حقاً ويرزقهم اتباعه، والباطل

باطلاً ويزرقهم اجتنابه وإنها لأمانة ملقاة على كاهل العلماء في توضيح حقيقة الإسلام، وشرح تعاليمه، والتصدي لكل شبهة تطرح على أي مستوى، وفي أي مكان، بالتفنيد والإيضاح، وتبصير المسلمين بما يجب عليهم، وهذا من نصر دين الله، وأداء حق ما تحملته النفوس من علم بالدعوة والتوجيه، والله كفيل بتأييدهم ونصرهم قال تعالى: ﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءامنوٓا إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فتعساً لَّهُمْ وَأَضَلّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[1]

والله الهادي سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سورة محمد آية [٧] وآية [٨].